جدلية الثأر والحرب في الشعر العلوي عند الناشئ الصغير

The Dialectic of Revenge and War in the Alid Poetry of al-Nāshiʾ al-Ṣaghīr

م. د. هالة معين صبري جابر
Asst. Dr. Halah Moeen Sabry Jaber

جامعة الفرات الأوسط التقنية- كلية البوليتكنك – كربلاء، العراق
البريد الإلكتروني: hala.sabry@atu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الناشئ الصغير، الثأر، الحرب، الحوادث التاريخية.

Keywords: The Young Poet (Al-Nashie Al-Saghir), Vengeance, War, Historical Events.

المستخلص:

يمثّل الشاعر الناشئ الصغير ظاهرة مهمة في المشهد الأدبي، إذ يكشف عن بواكير تشكّل الوعي الجَمالي واللغوي لدى الفَرد في مَراحل عمرية مبكرة. وتنْبَع أهمية دراسة هذا النمط من الشعراء؛ كونه يعكس لنا الحوادث التاريخية بصورة مشاهد تعرض للسامع، حيث تتجاور العفوية مع محاولات التقليد، وتتشكّل التجربة الشعرية الأولى بوصفها استجابة حسّاسة لمثيرات الدين، والبيئة، والمحيط. وفي الأغراض الشعرية، يميل الشاعر الناشئ إلى اختيار موضوعات قريبة من عالمه المباشر، كالدين، والحياة، والآخرة، المبدأ، العقائد، والقيم الأخلاقية، والحوادث التاريخية. كل هذه الموضوعات يوظفها في إبراز قضية الثأر والحرب لآل البيت (عليهم السلام)، وتغلب على هذه الموضوعات سمة البراءة والصدق، إذ يعبّر الشاعر عن مشاعره دون تعقيد أو تصنّع، فيأتي النص محمّلًا بانفعالات صادقة مع العمق الفكري، لكنها تعوّض ذلك بصفاء الرؤية. كما يظهر في بعض النصوص نزوع نحو تقليد موضوعات الكبار، كالحزن أو الغربة أو القضايا الوجودية، غير أن هذا التقليد غالبًا ما يكون سطحيًا، يعكس تأثرًا أكثر مما يعكس تجربة حقيقية. أما من حيث اللغة والأساليب، فقد اتخذ الشاعر من أساليب البلاغة وسيلة لتوضيح فكرته من الثأر والحرب، وتجسد ذلك من خلال استعمال تلك الأساليب، فإن اللغة الشعرية لدى الشاعر الناشئ تتسم بالبساطة والوضوح، مع أساليب البيان كالتشبيه والاستعارة والرمز والكناية، وتظهر المحاولات الأولى لتوظيف الصور البلاغية، كالتشبيه والاستعارة، لكنها غالبًا ما تكون تقليدية أو مستمدة من الذاكرة الجمعية. ومع ذلك، فإن بعض النصوص تكشف عن ومضات إبداعية حقيقية، حيث ينجح الشاعر في صياغة صورة معبرة أو تعبير غير متوقع، ما يدل على وجود حسّ فني قابل للتطور. وفيما يتعلق بالإيقاع، يميل الشاعر الناشئ إلى استعمال الأوزان السهلة أو التفعيلات البسيطة، وقد يلتزم بالقافية بشكل واضح، مما يعكس تأثره بالنماذج الشعرية المعهودة أو المسموعة. غير أن هذا الالتزام قد يكون شكليًا في بعض الأحيان، حيث تظهر اختلالات في الوزن أو ضعف في التماسك الإيقاعي، فإن هذه المحاولات تُعدّ جزءًا طبيعيًا من مسار الطريق الشعري.

Abstract:

The young poet represents an important phenomenon in the literary scene, revealing the early formation of aesthetic and linguistic consciousness at an early age. The importance of studying this type of poet lies in the fact that it reflects historical events as scenes presented to the listener, where spontaneity coexists with attempts at imitation, and the first poetic experience is formed as a sensitive response to the stimuli of religion, environment, and surroundings. In poetic purposes, the young poet tends to choose themes close to his immediate world, such as religion, life, the afterlife, principles, doctrines, moral values, and historical events. All these themes are employed to highlight the issue of vengeance and war for the Ahl al-Bayt (peace be upon them). These themes are characterized by innocence and sincerity, as the poet expresses his feelings without complexity or artificiality, resulting in a

text loaded with sincere emotions and intellectual depth, balanced by clarity of vision. Some texts also show a tendency to imitate the themes of adults, such as sadness, alienation, or existential issues, though this imitation is often superficial, reflecting influence more than real experience. In terms of language and style, the poet uses rhetorical devices to clarify his ideas on vengeance and war. The poetic language is characterized by simplicity and clarity, incorporating figures of speech such as simile, metaphor, symbolism, and metonymy. While early attempts to use rhetorical imagery are often traditional or derived from collective memory, some texts reveal genuine creative flashes, demonstrating an artistic sensibility capable of development. Regarding rhythm, the young poet tends to use easy metres or simple rhythmic patterns, often strictly adhering to rhyme, reflecting influence from established or oral poetic models. Though this adherence can sometimes be formal, with occasional irregularities in metre or rhythm, these attempts are considered a natural part of the poetic journey.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد في الواقع انما سمي بالناشئ الصغير؛ لان هناك مقابل هذه الشخصية شاعر آخر عُرف بالناشئ الكبير وهو ابو العباس الانباري لا حجة لنا بالحديث عنه الآن، وعليه فالناشئ الصغير هو عالم من علماء شيعة أهل البيت وشاعر من شعرائهم وافنى حياته في محبتهم، والدفاع عنهم، لا سيّما فيما نَظّم في الإمام امير المؤمنين(ع) ويا لها من درجة رفيعة، وما احسنه من وشاح، بِعّد قضية أمير المؤمنين(ع) أو مظلوميته، هي في الواقع مظلومية الإسلام، والحق، ومظلومية الوجدان، فأصبح حديثه عن أمير المؤمنين (ع) ونظم الشعر والكلمة كلاً في حق الإمام علي بن ابي طالب (ع) و دفاع عن قضية الإسلام كلها.

ومن المحزن في الأمر القول بأن شعره غيبته الأيدي الأثيمة، الأيدي التي أبت أن تبقي شيئاً من تراث شيعة أهل البيت، ولا نعرف من الذي عمل على تدميره، يبدو أن هنالك غايات ودواعٍ عديدة اتلفت شعره، وآثاره ولم يبقَ إلا القليل الذي أشار إليه المؤرخون هنا وهناك.

من هذا الفهم شرعت بالبحث معتمدة على عدد من المصادر من أبرزها كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب يتيمة الدهر للثعالبي، والوافي بالوفيات للصفدي ،وسير أعلام النبلاء للذهبي، ومصادر أخرى سترد مفصلة في متن البحث.

وقد انتظم البحث الحالي الموسوم بـ (جدلية الثأر والحرب في الشعر العلوي عند الناشئ الصغير) بتمهيد ثم بأربعة مباحث:

المبحث الاول تضمن حياته والمبحث الثاني تضمن آراء الكتاب والنقاد فيه أما المبحث الثالث تضمن صورة الثأر والحرب في الأغراض الشعرية التي كتب فيها، وجاء المبحث الرابع بعنوان صورة الثأر والحرب في اللغة والأساليب . آملة من خلال هذا سأقدم و أوفق في رصد المعلومة الدقيقة من مصادرها ومن الله التوفيق.

التمهيد: سمات العصر العباسي

تعد الخلافة العباسية من أهم المراحل التي مر بها التاريخ العربي واستمرت الخلافة العباسية في المشرق من سنة 132 إلى 656 للهجرة، أي لمدة 524 سنة(ابن طباطبا، 1385هـ، ص. 153)، و بقي للعباسيين بعد ذلك الخلافة بمصر إلى سنة 923 للهجرة(المسعودي، 1357هـ، ص. 310).

و تعد الدولة العباسية كما يقول: ابن طباطبا كثيرة المحاسن، جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، و بضائع الآداب فيها نافقة، و الخيرات فيها دائرة، و الدنيا عامرة، و الحرمات مرعية، و الثغور محصنة، و مازالت على ذلك حتى أواخر أيامها، فأنتشر الشر، و اضطرب الأمر(الكروي، 1989، ص. 24).

و قد قسم المؤرخون إجمالا مدة الخلافة إلى ثلاثة عصور رئيسة هي:

- العصر العباسي الأول(الماوردي، د.ت.، ص. 25–33): يمتد من 132 إلى 232 للهجرة .
- العصر العباسي الثاني: يمتد من 232 إلى 590 للهجرة .
- العصر العباسي الثالث: يمتد من 590 إلى 656 للهجرة .

النهضة الثقافية في الدولة العباسية .

من الطبيعي أن يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملائمة للنهضة الثقافية، فقد بدأ الاستقرار فيه و أنتظم ميزان الأمة الاقتصادي، و كانت النهضة العلمية في العصر الأول(ابن طباطبا، 1385هـ، ص. 153)، تتمثل في ثلاثة جوانب هي:

حركة التصنيف: من أشهر المصنفين في هذا العصر (مالك بن أنس) الذي ألف الموطأ، و ابن إسحاق الذي كتب السيرة، و أبو حنيفة الذي صنف الفقه و الرأي. و(يرجع إلى أبي جعفر المنصور الفضل في توجيه العلماء هذا الاتجاه، و قد كان المنصور كما يقول السيوطي: كامل العقل، جيد المشاركة في العلم و الأدب، فقيها تلقى العلم عن أبيه و عن عطاء بن ياسر. و تطورت العلوم في العصر العباسي الأول و انتقلت من مرحلة التلقين الشفوي إلى مرحلة التدوين والتوثيق في كتب وموسوعات) (الطبري، 1994، ج. 7، ص. 418–419).

تنظيم العلوم الإسلامية .

وصلت العلوم الإسلامية درجة عالية من الدِقة، و التَنظيم في العصرِ العباسي الأول:

- فقد شهد هذا العصر ميلاد علم تفسير القرآن، و فصله عن علم الحديث.
- و عـاش فـي هـذا العصـر أئمـة الفقـه الأربعـة: أبـو حنيفـة (150 للهجـرة)، و مالـك (179 للهجرة)، و الشافعي (204 للهجرة)، و ابن حنبل (241 للهجرة).
- وظهرت فـي الفقهِ الإسـلامي مدرسـتان علميتـان كبيرتـان همـا مدرسـة أهل الـرأي فـي العـراق، ومدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة.
- وحفل هذا العصر أيضًـا بأئمـة النحو وظهرت فـي علوم اللغـة مدرسـتان علميتـان همـا: مدرسـة البصرة ومدرسة الكوفة، فقد عاش فـي هذا العصر من أئمـة النحـاة البصريين عيسى بن عمر الثقفـي (149 للهجـرة)، و أبـو عمـرو بـن العـلاء (154 للهجـرة)، و الخليـل بـن احمـد (175 للهجـرة)، و الأخفـش (177 للهجـرة)، و سـيبويه (180 للهجـرة)، و يـونس بـن حبيـب (182 للهجرة)، و من الأئمـة الكوفيين أبو جعفر الرؤاسي، و الكسائي، و الفراء (208 للهجرة) (ابن خلكان، 1367هـ، ج. 2، ص. 169).

الترجمة من اللغات الأجنبية

(فـي عـام 145 للهجرة وضـع المنصـور حجـر الأسـاس للعاصـمة الجديـدة بغـداد، و جمـع حولـه فيهـا صفوة العلمـاء مـن مختلـف النواحي، و شـجع علـى ترجمـة كتـب العلـوم و الآداب من اللغـات الأخـرى إلـى اللغـة العربيـة، و استجاب لـه كثيـر من البـاحثين، من أبـرزهم ابـن المقفـع الـذي ترجـم كتـاب كليلـة و دمنـة (757 للميـلاد) و الطبيـب النسـطوري جـورجيس بـن بختيشـوع (771 للميـلاد)، و بختيشـوع بـن جـورجيس (801 للميلاد)، و جبريل تلميذ بختيشوع (809 للميلاد)، و الحجاج ابن يوسف بن مطر (الذي ذاع اسمه بين سنتي 786 و 863 للميلاد)).

المبحث الاول

حياة الناشئ الصغير

هو أبو الحسن، وقيل ابو الحسين علي بن عبدالله بن وصيف بن يوسف ، وقيل عبدالله البغدادي، الحلاء، المعروف بابن وصيف والناشئ الصغير أو الناشئ الأصغر، أحد أئمّة اللغة والشعر والكلام، ومن فحول الشعراء، وكان نحوياً، متكلماً، مقرئاً، مجوداً ، حسن الشعر(ابن الأثير، 1989، ص. 232).

ولادته

ولد ببغداد سنة 271 هـ ، وسكن مصر ونشأ بها (ابن الأثير، 1989، ص. 174).

حياته:

عاصر بعضاً عن ملوك بني العباس كالمقتدر والقادر والراضي .

مدح أعيان عصره كسيف الدولة الحمداني وابن العميد، وعضد الدولة الديلمي. له كتاب في الإمامة ، و(ديوان شع) ، وأكثر شعره في أهل بيت النبوة (عليهم السلام) (الثعالبي، 1990، ص. 432) ، ومن شعره :

(بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتابُ

وهم حجج الاله على البرايا بهم وبجدهم لا يسترابُ

ولا سيما أبو حسن علي له في المجد مرتبة تهابُ

طعام حسامه مهج الأعادي وفيض دم الرقاب له شراب

كأنَّ سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعته بخمّ معاقدها من الخلق الرقاب

هو البكّاء في المحراب ليلاً هو الضحاك إن جدّ الضراب

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب) (الثعالبي، 1990، ص. 423)

من الذين يستحقون صفة الصادقين مضموناً ومصداقية هو شاعر أهل البيت، الناشئ الصغير، فمن هو الناشئ الصغير ولماذا سمي بالصغير؟

"وأبو الحسن كنيته واسمه علي بن عبد الله البغدادي وولد في بغداد عام 271 للهجرة ووصفه المترجمون، بأنه شاعر بارع وعالم مشهور، ومعروف، ومصنف قدير لاسيمّا في شعره، وجهاده في الأمور جميعها أي في عالم القلم، ألف كتاباً في أهل البيت، ولم يَدرج المؤرخون اسمه، لكن ذكروا بأن أعظم كتاب له كان بحثاً مهماً في موضوع الإمامة، وله الكثير من الشعر للائمة حتى ذكر المحدث القمي(رض) بأن شعره لا يحصى لكثرته حتى عرف بشعره فضلاً عن ذلك هو من علماء الكلام، واشتهر بعلم الكلام، وكان قد أخذ هذا العلم عن (أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي"(ابن خلكان، 1367هـ، ص. 363).

الناشئ الصغير قال المؤرخون بأنه ولد من أبويين عاديين ومما تجدر الإشارة إليه أن أباه كان بقالاً وجده كان عبداً مملوكاً، أي يتجذر من عائلة بسيطة من حيث المستوى الاجتماعي، لكنه كان يتمتع بمواهب فنية منذ طفولته، وكان يسمى في شبابه بالحلاء وهذا مشتق من عمله، إنه كان يصنع الحُلي من النحاس، لكن بفضل استعداده وذكاءه انصرف إلى بعض علماء الكوفة وأدباءها، وكان يتردد على مجالسهم ويستفيد من أحاديثهم، ولاسيمّا الندوات التي كانت آنذاك مثل المطارحات الشعرية، المطاردات الشعرية، التسابق في القطع الشعرية حتى روى المؤرخون أن المتنبي تردد عليه، واختلف الى مجلسه وكتب بخطه الكثير من شعر الناشئ الصغير، المتنبي الذي هو عالم من علماء الأدب كتب الكثير من شعره، حتى تبين هذا في سيرة حياته، إن المتنبي مّر ذات يوم وسمعه وهو يقول من شعره(ابن خلكان، 1367هـ، ص. 364):

كأن سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعته بخم مقاصدها من الخلق الرقاب

ويشير إلى اليوم التاريخي، يوم الغدير، الذي يُعد من أبرز أيام تاريخ الإسلام ومن ألمع حياة رسول الله(ص)، الذي أشار اليه إمامنا الباقر(ع) حينما أكمل أبيات الكميت:

فلم ارَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم ارَ مثله حقاً اضيعا

على أي حال يوم صارخ ويوم ناطق(ابن خلكان، 1367هـ، ص. 365).

يقول الناشئ الصغير:

وصارمه كبيعته بخم مقاصدها من الخلق الرقاب

فسمعه المتنبي وأخذ ينظم معلقاً على ذلك، فقال المتنبي:

كأن الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك في رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا في فؤادي(السماوي، 2009، ص. 47)

ومن المُحزن في الأمرِ أن شعره غيّبته الأيدي الأثيمة، الأيدي التي أبت أن تُبقي شيئاً من تراث شيعة أهل البيت، ولا نعرف من الذي عمل على تدميره، يبدو ان مساعٍ ودوافع متعددة أدت إلى ضياع شعره، وآثاره، ولم يتبقَ إلا القليل الذي أشار إليه المؤرخون هنا وهناك، ومن شعره في الإمام أمير المؤمنين(ع) هذه المقطوعة التي يقول فيها مخاطباً:

أبا حَسن سَيدي أنت أنت صِراط المُهيمن لو انصفوكا

وأنت جعلت قريشاً عبيد ولو لا حسامك كانوا ملوكا

وأنت المُقدم في النائبات فعند الخِلافة لم اخروكا

ولو امنوا ببني الهدى وبالله ذي الطول ما خالفوكا

ولو ايقنوا بمعاد لما ازالوا النصوص ولا ما نعوكا

ولكنهم كتموا الشك في اخيك النبي وابدوه فيكا

ولكنهم اخروا حظهم ولو قدموا حظهم قدموكا(الحلي، 1382هـ، ص. 184)

في الواقع هذا جهاد الكلمة من أروع الجهاد، وهذه نظرة وفكر سديد يقول:

ولو ايقنوا بمعاد لما ازالوا النصوص ولا ما نعوكا (الحلي، 1382هـ، ص. 185)

الحرب الضروس التي اشعلت في وجه أمير المؤمنين(ع) وفي النتيجة هي حرب على الله ورسوله، لكنهم ما استطاعوا أن يضعفوا اسم النبي(ص) في مواجهة لأن هذا يكشف ماهيتهم، و حقيقتهم لذلك لم نلاحظ بعض الهفوات أو بعض المؤشرات من كلمات معاوية أو غيره، نرى أن المستهدف الأول في حرب الإمام أمير المؤمنين هو الله وبعده الرسول (ص)، الهدف منها تدمير جوهر الإسلام؛ لأن ذلك الجوهر والحقيقة، والقيم، لا تفهم فهماً صحيحاً إلا من خلال علي وأهل بيته (ع) ، هؤلاء ملئت آذانهم بكلمات رسول الله(ص) يقول(ص): "من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله" يا علي حربك حربي وسلمك سلمي يا علي من أحبك ختم الله له بالأمن والإيمان ومن أبغضك فلا نصيب له من الإسلام" اذن كل هذا يفهمنا بدقة وبحقيقة واضحة، إن المستهدف الأول في تلك الحرب الطاحنة والقاسية التي واجهوا بها الإمام علي(ع) كانت في النتيجة حرب على الله، وقال الناشئ الصغير:

ولو امنوا بنبي الهـدى وبالله ذي الطول ما خالفوكا

ولو ايقنوا بمعاد لما ازالوا النصوص ولا ما نـعوكـا

ولكنهم اخروا حظهم ولو قدموا حظـهم قدموكـا(الذهبي، 1993، ج. 2، ص. 349).

ما استطاعوا أن يواجهوا الرسول(ص) وجهاً لوجه، فعملوا على تَحْطيم شرع الله، وحرب الإسلام بشخص الإمام علي بن ابي طالب (ع).

الناشئ الصغير كان يلاحظ بأنه مستهدف، وتراثه مستهدف؛ لذلك قال المؤرخون: بأنه كان كلما سَافر يَحمل معه حملاً كبيراً؛ يبدو انه كان يعلم أن هذا التراث يطارد به وهذا التراث ضالة أعداء أهل البيت وضالة أعداء الإسلام، إلى أن أمر ولده بالاحتفاظ به، ولا نعلم كيف تبدد وكيف دمر، ولعله من الخوف سعت بعض الأيدي إلى ابعاده .

مذهبه:

كـان شـيعيا مؤمنـا بمـذهب الإماميـة، وشـعره ينطـق بـذلك قـال الطوسـي عنـه فـي فهرسته: (كـان متكلما شاعرا مجودا وله كتب وكان يتكلم على مذهب اهل الظاهر في الفقه) (ابن خلكان، 1367هـ، ص. 453)

صفاته الخلقية:

كان ابو الحسن شيخا طويلا جسيما عظيم الخلقة ، عريض الألواج موفر القوة، جهوري الصوت، عَمّر نيفاً وتسعين سنة ولم تضطرم عنانه، ولا قلع سناً، ولا من أضراسه) (ابن خلكان، 1367هـ، ص. 454)

حالته الاجتماعية:

لم يتزوج قط ولم يكن له ولد (ابن الأثير، 1989، ص. 246)

وفاته:

توفي الناشئ الصغير في بغداد عام 366 ودفن هناك (ابن الأثير، 1989، ص. 258) نسأل الله أن ينور ضريحه ببركة ما أسداه من شعر في حق أهل البيت (ع) .

وعن وفاته أشار (مصطفى شاكر) إلى وهم وقع فيه كل من ابن شهر آشوب في كتابه (معالم العلماء في شعراء أهل البيت المجاهرين) ، ووهم إذ قال: بغدادي من (باب الطاق) حرّقوه . قلت : مات

ميتة طبيعية وقد أسنّ ، ولم يحرقه أحد . كما وهم السمعاني في أنسابه إذ قال في ترجمته : شاعر مشهور كان في زمن المعتمد والظاهر والراضي وغيرهم وهو بغدادي سكن مصر ، هكذا ذكره أبو نصر ابن ماكولا . قلت : ومصدر الوهم في هذا الكلام أن الناشئ الصغير لم يسكن مصر، والذي رحل إلى مصر وسكن فيها ومات بها هو الناشئ الأكبر الشاعر الانباري البغدادي(مصطفى، 1975، ص. 87)

آراء النقاد في الناشئ الصغير

قال عنه الذهبي : "من فحول الشعراء وهو شيعي المذهب أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف الحلاء . أخذ الكلام عن إسماعيل بن نوبخت ، وغيره . وصنف التصانيف ، والحلاء : صانع حلية النحاس"(الذهبي، 1993، ج. 2، ص. 222) .

وهو القائل :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفا

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن مودته طبعا فصارت تكلفا

وقد روى بالكوفة ديوانه وأخذ عنه المتنبي، ثم طال عمره ، ومدح سيف الدولة والكبار، وعاش ما يُقارب تسعين سنة . مات في صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة .

فضلاً عن هذا قال عنه خير الدين الزركلي: في الأعلام (الناشئ الصغير كنيته ابو الحسن، واسمه علي بن عبد الله البغدادي وولد ببغداد عام ،271 للهجرة ووصفه المترجمون بأنه شاعر بارع وعالم مشهور ومعروف ومصنف قدير، لاسيما في شعره وجهاده في الاصعدة المتعددة في عالم القلم، ألف كتاباً في أهل البيت ولم يدرج المؤرخون اسمه، لكن ذكروا بأن أعظم كتاب له كان بحثاً مهماً في موضوع الإمامة، وله الكثير من الشعر للائمة حتى ذكر المحدث القمي(رض) بأن شعره لا يحصى لكثرته حتى عرف بشعره فضلاً عن هذا كونه عالماً من علماء الكلام، إذ اشتهر بهذا العلم، وكان قد أخذه عن أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي(الزركلي، 1969، ص. 56).

و الأصح القول بأن هذه قصيدته البائية التي صرح عنها ابن شهر آشوب في المناقب, وروى ابن خلكان(ابن خلكان، 1367هـ، ج. 4، ص. 51) عن أبي بكر الخوارزمي : إن الناشئ مضى إلى الكوفة سنة (325) واملى شعره بجامعها , وكان المتنبي وهو صبي يحضر مجلسه هناك, وكتب من إملائه لنفسه من قصيدة :

كان سنان ذابله ضمير ـ فليس من القلوب له ذهاب .

وصارمه كبيعته بخم ـ مقاصدها من الخلق الرقاب .

وذكرها له الحموي في معجم الأدباء(الحموي، 1399هـ، ج. 5، ص. 235) , واليافعي في مرآة الجنان(اليافعي، د.ت.، ج. 2، ص. 335) , وجزم بذلك في نسمة السحر, وعزى من نسبها إلى عمرو بن العاص الى افحش الغلط , وهؤلاء مهرة الفن، وإليهم المرجع في أمثال المقام .

فما تجده في غير واحد من المعاجم وكتب الأدب ككتاب (الأكليل, وتحفة الاحبّاء من مناقب آل العبا) من نسبتها الى عمرو بن العاص على وجوه متضاربة مما لا معول عليه قال صاحبا الأكليل والتحفة: إن معاوية بن أبي سفيان قال يوماً لجلسائه : من قال في علي فله هذه البدرة , فقال عمرو بن العاص: هذه الأبيات طمعاً بالبدرة .

وكذلك لا يصح عزوها إلى ابن الفارض كما في بعض المعاجم, وكان ابن خلكان، والحموي معاصرين لابن الفارض, فما كان يخفى عليهما لو كان الشعر له , وذلك لأن الرواة كانت تتناقله قبل وجود ابن الفارض .

والذي أحسبه ان لجملة من الشعراء قصائد علوية على هذا البحر والقافية، مبثوثة بين الناس, وربما حرفت أبيات منها عن مواضعها، فأدرجت في قصيدة الآخر, كما إنك تجد أبياتاً من شعر الناشئ في خلال أبيات السوسي المذكورة في مناقب ابن شهر آشوب , ونجد أبياتا من شعر ابن حماد في خلال أبيات العوني, وأبياتاً من شعر الزاهي من خلال شعر الناشئ, وأبياتاً من شعر العبدي في خلال شعر ابن حماد , وبذلك اشتبه الحال على الرواة، فَعُزي الشعر إلى هذا تارة وإلى ذلك أخرى .

ونورد هذه القصيدة إلى العلامة الحجة الشيخ محمد علي الأعسم النجفي أوله :

بنو المختار هم للعلم باب ـ لهم في كل معضلة جواب .

اذا وقع اختلاف واضطراب ـ بل محمد عرف الصواب .

الشاعر:

ابو الحسن علي بن عبدالله بن الوصيف الناشئ الصغير . الاصغر . البغدادي من باب الطاق , نزيل مصر , المعروف بالحلاء, كان ابوه يعمل حلية السيوف فسمي حلاء ,ويقال له : الناشئ ; لان الناشئ يقال لمن نشأ في فن من فنون الشعر , كما قال السمعاني في الأنساب .

كان أحد من تضلع في النظر في علم الكلام , وبرع في الفقه , ونبغ في الحديث, وتقدم في الأدب, وظهر أمره في نظم القريض, فهو جماع الفضائل , وسمط جمان العلوم , وفي الطليعة من علماء الشيعة ومتكلميها, ومحدثيها, وفقيهها , وشعرائها(السمعاني، 1408هـ، ج. 4، ص. 29).

وفي الوافي بالوفيات(الصفدي، د.ت.، ج. 4، ص. 238): إن أبا عبدالله الخالع , وأبا بكر بن زرعة الهمداني , وعبد الواحد العكبري , وعبدالسلام بن الحسن البصري اللغوي , وابن فارس اللغوي , وعبدالله بن أحمد بن محمد بن روزبه الهمداني وغيرهم يروون عنه , وإنه يروي عن المبرد , وابن المعتز وغيرهما.

وذكر ابن خلكان(ابن خلكان، 1367هـ، ج. 2، ص. 61): إنه أخذ العلم عن أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت , وهومن أعاظم متكلمي الشيعة .

و قال ابن النديم في الفهرست(ابن النديم، د.ت.، ص. 303): هو أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة, وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس وقال ابن خلكان في تاريخه: كان أبو سليمان صاحب مذهب مستقل, وتبعه جَمع كثير يعرفون بالظاهرية

روى الحموي في معجم الأدباء قال: حدثني الخالع فقال :

كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وأنا صبي في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة, وفيه جمع كثير من الناس , وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز , وهو شعث , فسلم على الجماعة بصوت يرفعه , ثم قال :

أنا رسول فاطمة الزهراء (ع) فقالوا : مرحبا بك وأهلاً ورفعوه فقال : أتعرفون لي أحمد المزوق النائح ؟ فقالوا : ها هو جالس فقال : رأيت مولاتنا (ع) في المنام فقالت لي : امض إلى بغداد واطلبه وقل له نح على ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمد قلبي بكم يتقطع ـ بمثل مصابي فيكم ليس يسمع . (الحموي، 1399هـ، ج. 4، ص. 31)

وكان الناشئ حاضراً , فَضرب ضَرباً عظيما على وجهه، وتبعه المزوق والناس كلهم,وكان أشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق , ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم ثم صلى الناس الظهر ,

وتقوض المجلس , وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئا منهم , فقال : والله لو اعطيت الدنيا ما أخذتها, فأنني لا أرى أن أكون رسول مولاتي (ع) ثم آخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئا.

قال : ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتا:

عجبت لكم تفنون قتلا بسيفكم ـ ويسطو عليكم من لكم كان يخضع .

كأن رسول الله أوصى بقتلكم ـ وأجسامكم في كل أرض توزع .

قال الأميني : أول هذه القصيدة :

بني أحمد قلبي لكم يتقطع ـ بمثل مصابي فيكم ليس يسمع .

فما بقعة في الأرض شرقاً ومغربا ـ وليس لكم فيها قتيل ومصرع .

ظلمتم وقتلتم وقسم فيئكم ـ وضاقت بكم أرض فلم يحمِ موضع .

جسوم على البوغاء ترمى وارؤس ـ على ارؤس اللدن الذوابل ترفع

توارون لم تأوِ فراشا جنوبكم ـ ويسلمني طيب الهجوع فاهجع . (الحموي، 1399هـ، ج. 4، ص. 71)

المبحث الثاني: صورة الثأر والحرب في الأغراض الشعرية

تُعدّ دراسة الثأر والحرب في شعر الناشئ الصغير ، من الموضوعات المهمة التي تُعنى باستقراء المضمون الشعري، وما فيه من دلالة فكرية وجدانية، فالشاعر ينظر إلى الثأر والحرب من منظور عقائدي، فالثأر باسترداد الحقوق المغتصبة، والحرب ليس غاية في نفس الشاعر، بل هي وسيلة سببها تمرد الخصم ونقضه للعهد ،لهذا نجد الوقائع التاريخية حاضرة في شعر الشاعر، وتأخذنا هذه الدراسة إلى الكشف عن الموضوعات التي شكَّلت تجارب الشاعر وساهمت في إبداعه، فضلاً عن مدى تأثر الشاعر بظروف عصره السياسية والاجتماعية والثقافية، وتعد محوراً مهماً يتناول فيه أفكاره، ومدخلاً لتوضيح مجمل القضايا الدينية الفكرية، التي أخذت حيزاً كبيراً من شعر الشاعر ، إذ لم يكن الشاعر سطحياً في عرض أفكاره ؛ليعبر فيها عن عاطفة طارئة عليه ، بل كان وسيلة وسيفاً للدفاع عن المبادئ التي اعتنقها والقيم التي آمن بها، وقد بدت واضحة في الموضوعات الشعرية التي كتب بها .

لقد تنوعت الموضوعات التي كتب فيها الشاعر، ولكن نود أن نشير إلى قضية مهمة، وهي غلبة المحور الديني العقائدي على تلك الأشعار، رافداً كل ذلك بأحداث تاريخية ، حتى يمكننا عد شعره وثيقة تاريخية ، فهو من الشعراء البارزين في العصر العباسي، إذ مَثَّل شعره هوية راسخة، للتفاعل مع قضايا

مجتمعه من النواحي الفكرية، والاجتماعية، والدينية، ونلحظ كثرة موضوعاته وتنوعها وتعدد أغراضه التي وضحت لنا موقفه من قضايا عصره، وكيف ظهرت لنا ثقافته وفكره وما يحمله من وعي . كما سنوضح ذلك من خلال أغراضه .

المديح:

يتضمن هذا الغرض أنواع عدة: هو ذلك الشعر الذي ينصب على وصف محاسن الآخرين بتعدد صفاتهم الخلقية وإظهار الشوق لرؤيتهم (فروخ، 1998، ج. 1، ص. 21)

أ. المدائح النبوية:

وهي قصائد قيلت في مدح الرسول (ص) محمد عليه السلام وآل بيته، وقد ساعد على ظهورها العوامل التالية:

1. اضطراب الأحوال السياسية .
2. سوء الأحوال الاجتماعية .
3. قلة الموارد الاقتصادية .
4. تكالب الطامعين بالأمة وخيراتها.

وقد دفعت هذه العوامل الناس إلى الالتصاق بالدين، والاستشفاع بالرسول (ص) لتفريج الكرب، وقد غذّي المماليك اتجاه الاحتفالات الدينية مما جعل هذا اللون من أنشط الألوان الأدبية. (فروخ، 1998، ج. 1، ص. 39)، وقد ذكر الشعراء معانٍ لهذه المدائح منها: أخبار الرسول (ص) – صفاته ومعجزاته– الحديث عن المدينة المنورة– ذكر آل البيت – ذكر الخلفاء الراشدين . إذ يقول الشاعر: مادحًا آل بيت محمد صلوات الله عليهم ويذكر مناقبهم:

بآل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

هم الكلمات للأسماء لاحت لآدم حين عز له المتاب

وهم حجج الإله على البرايا بهم وبحكمهم لا يستراب(السماوي، 2009، ص. 90)

بقية ذي العلى وفروع أصل لحسن بيانهم وضح الخطاب

وأنوار ترى في كل عصر لإرشاد الورى فهم شهاب

ذراري أحمد وبنو علي خليفته فهم لب لباب(السماوي، 2009، ص. 9)

يؤكد شعر الناشئ على الأمر الذي يُعلي من شأن آل البيت (ع)، مما يبين أحقيتهم بالقيادة الدينية والفكرية، ومن هذا الاتجاه تُعد هذه الأبيات تأسيسًا فكريًا لقضية الثأر لقضايا الأمة الإسلامية، فهنا لا يصرح بذكر الحرب، بل نجده يهيئ ببيان شرعية أصحاب تلك القضية. فنجد الشاعر يُقيم مقابلة بين فريقين، تلك المقابلة التي توضح الأسس والمنطلقات الفكرية التي تؤسس لفكرة الحرب للدفاع عن الدين الإسلامي. ونود أن نشير إلى بعض الألفاظ التي وردت تحمل لنا دلالات توحي بالمواجهة منها (حجج الإله ،الصواب، شهاب)،و تطالعنا هذه القصيدة بِذكر كلمة الصَواب الدالة على اليقين بالمعرفة المحضة لكرامة آل النبي (ع) والتي تبينها لنا الجملة الخبرية الواردة في النص الشعري

(بآل محمد عرف الصواب) ، وما تحمله كلمة الصواب من حسن الأمر والعقل والحكمة، وما يحمله الفعل (عُرف) من دلالة على ثبات المعرفة واستقرارها، وبعدها يكمل الشاعر قصيدته بالجمل الخبرية (وفي أبياتهم نزل الكتاب) وهذا ما يريد الشاعر توضيحه، لتكون بيوت آل البيت (ع) مطهرة ومشرفة ؛لكونها موطناً للوحي وكناية عن المنزلة العظيمة ، ذلك إن الشاعر قد خصص تلك البيوت بنزول الوحي بقوله:(في أبياتهم)؛ ليجعل للمكان المقدس ولتلك البيوت روحية مشعة بالإيمان والتقوى . وبعد هذا ينتقل إلى ذكر الجانب البلاغي بقوله: (هم الكلمات والاسماء) فهنا المعنى يأخذ البعد الرمزي، فهم الكلمات والاسماء وليسوا أصحابها .فعمل الشاعر على رفد نصه بتكثيف الصور الجمالية، لينشأ لنا تناص قرآني مع قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليها" ليقيم حلقة وصل بين مكانة آل البيت(ع) وبين الكلمات التي تلقاها آدم بذكر الحادثة التي وردت فيها الآية المباركة في القرآن الكريم فلا يلجأ الشاعر إلى المبالغة المجردة ، بل نراه يوظف القصص الدينية لتعزيز فكرته .

ب. مدح الخلفاء والعظماء:

لم يسر هذا المدح على طريقة الأقدمين؛ طلباً للعطاء والنوال ولبلوغ المراتب الوظيفية عند السلاطين. ولن تقعد معاني الشجاعة، والكرم، والحكم، والعلم، التي أغار شعراء هذا العصر على معاني غيرهم واستباحوا ورجعوا إلى ظاهرة الوقوف على الأطلال أو الغزل أو وصف الطبيعة. (الهاشمي، 1976، ص. 56)، فنجد الشاعر يصور أحداثاً تاريخية؛ ذلك أن الجمع هذه الوقائع يمد النص بالبعد التاريخي، ويعزز فكرة الثأر والحرب عبر التاريخ؛ لأنه ثأر لقضية الحق والعدل.

يقول الشاعر في مدح أمير المؤمنين (عليه السلام) :

ألا يا خَليفة خَيْر الوَرى لقد كَفَر القَوم إذ خَالفوكـا

أدل دليلٌ على أنهم أبُوك وقد سَمعوا النَص فِيكا

خِلافهم بَعد دَعْواهم ونَكثهم بـَعدمـا بايـعوكـا

طَغوا بالخريبةِ واسْتَنْجَدوا بصفين والنهر اذا صَالتوكا (السماوي، 2009، ص. 27)

تتجلى فكرة الثأر هنا في مخالفة القوم ونكثهم للوعد ، وهنا فهي ليس طلباً لانتقام الفردي، إنما دعوة لاستعادة العدالة الإلهية التي سُلبت، فالحرب هنا نتيجة نقض العهد (أدل دليل على أنهم أبوك) (وقد سمعوا النص فيكا) فيربط الشاعر بين نقض البيعة والحرب ، وبهذا فالصراع الذي تمثل في هذه القصيدة ليس نتيجة خلاف سياسي ، بل نتيجة لهذا الانجراف وراء الأهواء ، وهكذا تتحول الحرب إلى مواجهة بين الوفاء بالعهد والخيانة ، وبهذا فالشاعر ينظر إلى الثأر والحرب من منظور عقائدي ، يستحضر الشاعر عدداً من الحوادث التاريخية مثل الخريبة ، صفين ، النهروان؛ ليجعلها دليلًا على تمرد الخصوم، وإن الشاعر قد وظفها هنا ليثبت بأن الخصوم هم من ابتدأوا الطغيان وأشعلوا الحرب، لقد افتتح الشاعر نصه هذا بأسلوب النداء(ألا يا خليفة) لإثارة الانتباه وتعظيم المخاطَب، لذا فقد عَمّد الشاعر إلى الأسلوب الخبري؛ ذلك لأنه يسعى إلى تقرير الحقائق واثباتها، عن طريق ذكر الأحداث التاريخية التي ارتبطت بالإمام علي (ع) مثل حادثة الخريبة، وصفين، والنهروان. فلا يصور الشاعر الحرب عن طريق القتال والدم، بل من خلال الإشارة إلى اسماء تلك المعارك، مع ذكر الأفعال(خالفوا، نكثوا، طغوا، استنجدوا) التي تشكل دلالة قاطعة على العدوان. وقال أيضاً في هذا الصدد :

من كنتُ مولاهُ فالـوصـيُّ له مولىً بوحيٍّ من الإلـهِ وحى

فبخبخوا ثـمَّ بايعوهُ ومـن يـبـايعُ اللّهَ مخلصاً ربحا

ذاكَ عـلـيٌّ الذي يـقول له جـبريلُ يومَ النزالِ ممتدحا

لا سيفَ إلا سيفَ الوصي ولا فتــىً سواهُ إن حادثٌ فدحا

لو وزَّنوا ضربه لعمرو وأعما لَ البرايـا لضربهِ رجحـا

ذاكَ عليٌّ الذي تـراجعَ عن فتــحٍ سواهُ وسارَ فافتتحا

في يومِ حضَّ اليهودَ حينَ أقلَّ البابَ من حصنِهِمْ وحينَ دحا (الذهبي، 1993، ج. 2، ص. 350)

لقد افتتح الشاعر نصه بالإشارة إلى ولاية الإمام (ع) بحديث الغدير، فالحرب هنا ليست حرباً عسكرية بل عقائدية يدور محورها بين الحق والباطل، ولكي يضفني الشاعر الشرعية الدينية لهذه الحرب؛ لكونها دفاعاً عن الرسالة الإلهية، والثأر فيها هو ثأر الإسلام. "ذاكَ عـلـيٌّ الذي يـقول له جـبريلُ يومَ النزالِ ممتدحا" يقدم الشاعر الإمام (ع) بوصفه بطلاً استثنائياً، ذلك إن المدح يصدر على لسان جبرائيل،

وإن قوته مؤيدة بالعناية الإلهية وهو ما يعطي للحرب بُعداً مقدساً. فتقوم هذه الأبيات على المديح مع التقرير المباشر بذكر الحوادث التاريخية من خلال اشارته إلى حديث الغدير المشهور(من كنت مولاه فعلي مولاه)، إذ يرى بأن الأمر إلهي وليس أمراً اجتهادياً وهذا الاقتباس من الأساليب التي تمنح النص بعداً حجاجياً .أما قول الشاعر: (لا سيفَ إلا سيفَ الوصي ولا) فهذه من العبارات المشهورة في العالم الإسلامي، والتي تبرز لنا صورة البطل في صفات الشجاعة والبطولة في الحرب، ومع استعمال الشاعر لأسلوب القصر بالنفي والاستثناء. ويستمر الشاعر في إبراز صورة الإمام و توضيح شجاعته(في يومِ حضَّ اليهودَ حينَ أقلَّ) الذي يشير إلى الواقعة المشهورة مع اليهود في فتح خيبر مما يضفي على النص حيوية وحركة .وهذا يوضح اعتماد الشاعر على الحدث التاريخي في تصويره للوقائع . وقال الشاعر في مدح الإمام المهدي (ع) .

يا آلَ ياسينَ إن مفــخرَكم صيَّرَ كلَّ الورى لكم خُــولا

لو كانَ بعدَ النبيّ يوجدُ في الـ خلقِ رسولاً لكنتــمُ رُسُلا

لولا موالاتــكمْ وحـبّكمُ ما قبلَ اللهُ للـورى عــمـلا

يا كلماتٌ لولا تـلــقّنِها آدمُ يــومَ المتابِ مــا قُبـلا

أنتمْ طريقُ إلى الإلــهِ بكمْ أوضحَ ربُّ المعــارجِ السُّبُـلا

آمنــتُ فيمنْ مضى بكمُ وقضى وبالذي غابَ خائفاً وجلا

وهوَ بعيــنِ اللهِ العليّ يرى ما صنــعَ المختفي وما فعلا

ويؤمنُ الأرضَ من تزلزلِها إذ كــانَ طوداً لثبتِها جبلا

حتى يشاءُ الباري فيظـهرُه للقســطِ والعدلِ خيرَ مَن عدلا

يا غائــباً حاضراً بأنفسِنا وباطناً ظــاهراً لمَن عقـلا (الذهبي، 1993، ج. 2، ص. 410)

يستهل الشاعر قصيدته المدحية بتعظيم آل البيت (ع) فيظهرهم بمصدر الفخر والهداية ، وهذا تمهيد نفسي فكري، حيث يهيئ المستمع لفهم الدور الحقيقي للإمام المنتظر(ع) في استرجاع الحق، فالبعد الديني هو الأساس الذي يقود فكرة الثأر، "وهوَ بعيــنِ اللهِ العليّ يرى "يصور لنا الشاعر العناية الإلهية في حفظ الإمام، مما يرسخ قضية الانتظار للقائد الذي سيقود معركة العدل الإلهي. ويقوم هذا على توجيه نداء مباشر يقر فيه بالتعظيم وعلو المنزلة، فيرى الشاعر بأن الناس على أثر ذلك تراهم يدورون كالفلك

حولهم، مع استعمال الشاعر لأسلوب الشرط في البيت الثاني، وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر أن يكشف عن ذلك الانتماء العقائدي، ثم نجد الشاعر يشير إلى قصة النبي آدم (ع)في الشاعر: (يا كلماتٌ لولا تـلـــقّنِـها آدمُ) وهنا يشير إلى قوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليها"(القرآن الكريم، البقرة: 37) ،فنرى الشاعر في مدحه وتصويره للثأر والحرب، يركز على البُعد العقائدي، ثم التدرج في توضيح الفضائل الأخرى واستعمال أساليب التوكيد، ونتوصل إلى حقيقة في شعر المديح للشاعر، وهي عدم نظر الشاعر إلى شعر المديح بوصفه ثناءً، بل هو أسلوب لبيان موقفه العقائدي من الثأر والحرب، لذلك نرى تداخل العقيدة والفكر مع عاطفة الشاعر.

ج. مدح الأصدقاء والأقرباء:

وغالباً ما يكون أقرب إلى الصدق وإن كانت المبالغات تغزو معانيه، وتسيطر عليه الصنعة البديعية، يقول الشاعر مادحا سيف الدولة :

فارحل الى حلب فالخير منجلب من نيل كفك ان لاحت لنا حلب (السماوي، 2009، ص. 86)

المدائح غير الدينية

اختص الناشئ الصغير بمدح ال البيت (ع) ولكنه مدح اخرين من رجال عصره ، فمن الذين مدحهم: ابن رائق الوزير المعروف وكان سبباً لايصاله إلى الخليفة العباسي الراضي بالله فمدحه فبالغ الخليفة في اكرامه، وقصد سيف الدول ومدحه، كما قصد كافور الأخشيدي بمصر وامتدحه ، كما امتدح ابن خنزابة ، وكان ينادمه رغم انه لم يشرب النبيذ، وممن امتدحهم بن العميد بارجان وعضد الدولة بفارس والبريدي بالبصرة وغيرهم . واغلب هذه المدائح لم يصلنا وضاع فيما ضاع من شعره(الحسيني، 1976، ج. 2، ص. 27).

1. الرثاء:

نظراً للأحداث الجسام التي مرت على الأمة الإسلامية، وما حصل من معارك نتج عنها الموت، والقتل، والتخريب، فقد واصل شعراء هذا الغرض فن الرثاء، فقد برز في هذا الغرض ثلاثة أنواع: المراثي الخاصة: التي قيلت في أناس أعزاء على قلب الشاعر كما في رثاء يحيى شرف الدين لزوجه فاطمة بنت عبد الله الموصوفة بالفضل والكرم و المراثي العامة: وهي كثيرة تقوم على الإشادة بصفات المرثي وكريم مزاياه من خلال المبالغة والصنعة و رثاء الممالك والمدن: كما في رثاء بغداد التي سقطت بيد المغول(السماوي، 2009، ص. 74). ومن هذه الأنواع السابقة نستدل بأن الناشئ الصغير قد رثى بصورة خاصة وعامة، وإن الرثاء في شعر الشاعر يشكل خصيصة واضحة من خلال امتزاج الرثاء

بالعقيدة، فالشاعر لا يقدم الرثاء فحسب، بل يقدمه بعده رمزا للعدالة واثباتًا للحق. ومنها قصيدة يرثي بها الإمام الحسين (ع) فيقول :

أما شجاك يا سكـن قتل الحسين والحسن

ظمآن من فرط الحزن وكل وغد ناهـل

يقـول : يا قوم أبـي علي البر الأبــي

وفــاطم بنـت النبي امي وعني سائلوا

منوا على طفلي بما فقد ضرا فيه الظمـا

ولم يكن قد اجر مـا حيث الفرات سائل (السماوي، 2009، ص. 74)

تمتد هذه الأبيات إلى تذكر نتائج الحرب وأبعادها النفسية، والإنسانية يجسد الشاعر في أبياته هذه مشهدًا من أفضع مشاهد واقعة الطف تأثيرًا، إذ يبدأ رثاءه باستفهام انفعالي "أما أشجاك يا سكن قتل الحسين والحسن" يريد به استنهاض الهمم ،وهو استفهام لا يقصد من وراءه طلب الجواب، إنما إثارة الحزن والتذكير بحجم المأساة طلباً للثأر. ثم يعقد الشاعر مفارقة بين ظمأ الإمام الحسين(ع) وبين قاتليه "ظمآن من فرط الحزن، وكل وغد ناهل"، ونلحظ بأن هذه المفارقة لا تقتصر على توضيح الحرمان المادي، بل لها دلالاتها الاخلاقية، من خلال وصف الشاعر لهم بـ (الوغد) ، وهذه إدانة لهم تجردهم من كل القيم والمبادئ . ويبلغ الرثاء ذروته من خلال الحديث بلسان الإمام الحسين(ع) باثبات نسبه الشريف :" يا قوم أبي علي البر الأبــي وفــاطم بنـت النبي أمي" وهنا تتجلى قيمة الانتماء النبوي؛ لأن المقتول ليس رجلاً عاديًا، وهذه وسيلة لتبيان حجم الجريمة، ومقدار الانحراف الأخلاقي.

وقال أيضاً في رثاء الحسين (ع) .

مصائبُ نسلِ فاطمة الـبــتولِ نكثْ حَسْراتُها كبدَ الرسْولِ

ألا بأبي البدورَ لقيـــنَ خَسفاً وأسْلمَها الطلوعُ إلى الأفولِ

ألا يا يومَ عاشــورا رمــاني مصابي منكَ بالداءِ الدخيلِ

كأنّي بابــنِ فاطمــةٍ جديلاً يـلاقي التربَ بالوجهِ الجميلِ

يجرَّرُ في الثرى جــسداً ورأساً على الحصباءِ بـالنحرِ التليلِ

جديلاً ظلَّ فــوقَ الأرضِ أرضاً فوا أسفي على الرأسِ الجديلِ

تــوطأه أعاديهِ ولكـــن تحامــاهُ العتاقُ من الخيولِ

وقدْ قطــعَ العداةُ الــرأسَ منه وعلّــوهُ على رمحٍ طويلِ

وقد برزَ النــساءُ مــهتكاتٍ يُجرِّرنَ الفروعَ من الأصولِ

فصرنَ إلى الجسـومِ موزَّعاتٍ فلــم يعرفْ قتيلٌ من قتيلِ

فطـوراً يلتثــمنَ بني عــليٍّ وطــوراً يلتثمنَ بني عقيلِ

وفاطمـــةُ الصغيرةُ بعدّ عزٍّ كساها الحزنُ أثوابَ الذليلِ

تنادي جـدَّها يـــا جدُّ إنا طلبـنا بعد فقـدِكَ بالذحولِ

وسِـيقتْ بعد ذاكَ إلـى يزيدٍ تعـــاني للوجيفِ وللذميل

فتحدى بالرؤوسِ على رؤوسٍ الـ قنا وتُــساقُ بالدنفِ العليلِ

إذا نادتْ يتامـــــاهمْ بجدٍّ تجاوبُ بالسيــاطِ وبالطبولِ

فيا للهِ ما لقِيتْ شجـــوناً وما يلقى المحبُّ من الطويلِ(السماوي، 2009، ص. 88)

تنثال لنا هذه الأبيات بذكر تفاصيل الحرب وتكشف لنا عن حضور موضوع الثأر؛ وذلك عن طريق الذاكرة وما تحمله من مشاهد ذلك اليوم ، فيها من انتهاكات، وهذا تمهيد يبين أن الثأر ليس حدثاً شخصياً؛ لكنه دفاعاً عن الدين وحرمة الرسالة وقد صورت لنا هذه القصيدة الأحداث المأساوية، وما من لوعة الحزن مع الشجن، وإن هذا المشهد لا يصور الرثاء فحسب؛ بل ينقش في ذهن السامع وحشية العدوان التي تتطلب الثأر، ولا تنفك حتى تشّكل لنا سلسلة من وثيقة تاريخية تعرض لنا ما حصل في يوم عاشوراء ، فالشاعر بدا لنا رساماً دقيقاً في عرض صورة لذلك المشهد البطولي الذي لاقاه الإمام الحسين (ع) بجسده الطاهر وما آلت الحرب بعد ذلك، وما جرى للنساء والأطفال، فكأن بالشاعر شاهد حي على ما حصل فقد نقل لنا دقائق الأحداث بمرأة الحق، مصوراً لنا لوعة الحزن في قلبه ، بمفردات ذات دلالة تتبجس منها الحسرة والحزن على ذلك المشهد، الذي انتصر فيه الدم على السيف، حتى غدا إلى يومنا هذا أنشودة في رفض الظلم والطغيان، ثم إن الشاعر لا ينفك حتى يعرض لنا صورة ذلك المشهد الأسطوري الذي جسده الإمام الحسين (ع) بعبارات ودلالات ذات نبرة شجيّة توضح ما حدث لآل بيت النبي . وقال في رثاء الإمام الحسين (ع).

رجائي بعيدٌ والمـمـاتُ قـريـبُ ويخـطـئ ظنّي والمنونُ تصيبُ

متى تأخذونَ الثأرَ ممن تألّبـوا عليكمْ وشبُّوا الحربَ وهيَ ضروبُ

فذلكَ قد أدمى ابنُ ملـجمَ شـيبَه فخرَّ على المحـرابِ وهو خضيبُ

وذاكَ تولّى السمُّ عنـه حـشاشةً وأنشِبنَ أظفـارٌ بـــها ونيوبُ

وهذا توزَّعنَ الصـــوارمُ جسمَه فخرَّ بأرضِ الطفِّ وهوَ تـريبُ

قتيلٌ على نهرِ الفراتِ على ظـمأ تطوفُ به الأعـداءُ وهوَ غريبُ

كأنْ لمْ يكنْ ريحـانةً لمـحـمدٍ وما هو نجلٌ لـــلوصيّ حبيبُ

ولمْ يكُ من أهلِ الكساءِ الألى بـهمْ يُعـــاقبُ جبَّارُ السما ويتوبُ

أناسٌ علوْا أعلى المعالي من العلى فـليسَ لهمْ في الفاضلينَ ضريبُ(السماوي، 2009، ص. 78)

تطالعنا هذا الأبيات بتصوير الصراع النفسي، إذ يجعل الشاعر موضوع الثأر والحرب الفكرة التي تستند عليها القصيدة، ويجعله محوراً رئيساً من المحاور التي تدور حوله القصيدة، بنبرة يائسة قد امتزجت بالأمل من خلال عقده بين الرجاء والممات، فالشاعر قد بين أمله بتحقيق العدالة، وبين احساسه بقرب أجله، وكأن الزمن يقف بالضد منه، "ويخطئ ظني والمنون تصيب" وهنا تعبير عن هيمنة القدر المحتوم في المواجهة وتعثر أمنياته. ثم ينتقل الشاعر من التعبير عن معاناته الفردية إلى خطاب لآل البيت (ع) من أجل استنهاض الهمم لأخذ الثأر بقوله: "متى تأخذون الثأر ممن تألبوا عليكم وشبوا الحرب وهي ضروب" فهما يصور مدى تكاتف العدوان توضحها عبارة (شبوا الحرب) وهنا يتجاوز الحدث بعينه ؛ ليصبح صراعاً بين العدالة والظلم والحق والباطل.

2. الغزل:

وهو غرض مهما في ذلك العصر فحينا بقصائد مستقلة وجعلوه أحياناً في مطالع مدائحهم وقد كان هذا الغزل يطل برأسه من خلال العتاب والرضى والافتتان والشكوى تعبيراً عن المشاعر يحمل في طياته التقليد حيناً والتجديد أحياناً أخرى، وقد انطلق شعراء هذا العصر بغزلهم من مفاهيم جمالية تقليدية غالباً (فروخ، 1998، ص. 187). ولم يذكر للشاعر الناشئ الصغير شأن في هذا الغرض.

3. الوصف:

وقد تناول هذا الغرض الأحاسيس المرئية والباطنية حيث وصفوا المعارك وما يتعلق بها ، والطبيعة وما تحتوي عليه والمظاهر المدنية كالأسواق والولائم والشوق والألم وآلام الجوع وتقلبات الزمان.فيقول الشاعر في وصف فرسا :

مثل دعاء مستجاب ان علا او كقضاء نازل اذا هبط(السماوي، 2009، ص. 102)

تركيب الشعري يقوم على تشبيهين متقابلين يكشفان عن طاقة تصويرية عالية، ويعتمدان على حركة الصعود والهبوط لإبراز المعنى"مثل دعاءٍ مستجابٍ إن علا" هنا يشبّه الشاعر الشيء (غالبًا صوتًا أو أثرًا معنويًا) بالدعاء المستجاب حين يرتفع. الصورة توحي بالطهر والقبول الإلهي، فالدعاء إذا علا فهو متجه إلى السماء، محمّل بالأمل والاستجابة. في هذا بعدٌ روحي عميق، حيث يُضفي على الموصوف قداسة وسموًا، وكأنه يحمل صفات القبول والصفاء والتأثير الإيجابي. وقال أيضاً في وصف آل البيت (ع) .

كأنْ لمْ يكنْ ريحـانةً لمـحمدٍ وما هو نجلٌ لـلوصيِّ حبيبُ
ولمْ يكُ من أهلِ الكساءِ الألى بـهمْ يُعـاقبُ جبَّارُ السما ويتوبُ
أناسٌ علوْا أعلى المعالي من العلى فـليسَ لهمْ في الفاضلينَ ضريبُ
إذا انتسبوا جازوا التناهي لمجدِهم فما لهمُ في العـالمينَ نسيبُ
همُ البحرُ أضحى درَّه وعـبابَه فليسَ له من منـتقيه رسـوبُ
تسيرُ بهِم فلكُ النجاةِ ومـاؤها لشـرَّابِهِ عـذبُ المذاقِ شروبُ
هم البحرُ يُغني من غدا في جـوارِه وساحِلُه سهـلُ المجالِ رحيبُ
يُمدُّ بلا جزرٍ علوماً ونـائلاً إذا جـاءَ منه المرءُ وهوَ كسوبُ
حووا علمَ ما قد كانَ أو ما هوَ كائنٌ وكـلٌ رشادٍ يحتويهِ طلوبُ
هُمُ سبـبٌ بينَ العبادِ وربّهمْ محـبّهمُ في الحـشرِ ليسَ يخيبُ
وقد حفظوا كلَّ العلـومِ بأسرِها وكلٌ بديـعٍ يحتويهِ غيوبُ
همُ حسناتُ العالمينَ بفضـلِهم وهمْ للأعادي في المـعادِ ذنوبُ
وقد حفظتْ غيبَ العلومِ صدورُهم فما الغيبُ عن تلكَ الصدورِ يغيبُ

فإنْ ظلمَتُ أو قُتّلتْ أو تهضَّمــتْ فما ذاكَ من شأنِ الزمـانِ عجيبُ

وسوفَ يديلُ اللهُ فيـــهمْ بأوبةٍ وكلٌّ إلى ذاكَ الـزمانِ يـؤوبُ(الذهبي، 1993، ص. 450)

يبدأ الشاعر قصيدته بتذكير السامع بالمنزلة العظيمة التي يشغلها الإمام الحسين(ع) بقوله:(كأنْ لمْ يكنْ ريحـانةً لمــحـمدٍ) فيستحضر الشاعر الحديث المشهور للرسول(ص) فهو امتداد للرسالة ، ومن هنا يصبح الثأر حرصاً على الدين ودفاعاً عن النبوة، وعدها يذكرنا بأصحاب الكساء، إذ هم الصفوة المختارة التي اصطفاها الله جل في علاه ، ثم يسترسل الشاعر في ذكر تلك المناقب، ثم يستشرف الشاعر المستقبل، ليؤكد إن الظلم الذي تعرض له آل البيت (ع) لم يدم طويلاً؛ وهنا يتحول الثأر إلى وعد إلهي (وسوفَ يديلُ اللهُ فيـــهمْ بأوبةٍ) وهذا شأن محقق لا محاله وهنا يصبح الثأر وسيلة لتحقيق العدالة الإلهية، وليس رد فعلٍ على الحرب (وكلٌّ إلى ذاكَ الـزمانِ يــؤوبُ) فالانتصار للحق وعدم الانصياع للظلم ذلك هو الطريق الذي رسمه آل بيت النبي (ص) .

المبحث الثالث: صورة الثأر والحرب في اللغة والأساليب

تميزت لغة الشعر من لغة الكلام الاعتيادي بأنها لغة انفعالية، لا تقتصر على نقل الأفكار والمعاني، لأنها تنبع من القلب(سلام، 1971، ص. 41) فلغة الشعر هي لغة العاطفة بأشكالها المختلفة ، وهي لغة الفكر أيضا ، وهي أهم مُكونات بناء النص الشعري، وأساس وجوده . وهي تتطور عند الشاعر تبعاً للموقف والتجربة، فهو يسخرها ليعبر عن تجربته من خلال توظيف ألفاظها ، لتوليد معان جديدة ، فيكون حينذاك مبدعاً .ولعل سبب هذه السهولة هو التجديد الذي أصاب القصيدة العربية في العصر الإسلامي ،و لقد كان لاختلاف المكان أثر رئيس في اختلاف اللهجات بين القبائل ،على الرغم من أن المفترض أن لغتهم الأم واحدة،فعندما كان العرب يجمعهم مكان واحد ،كانت لغتهم واحدة ،إلا أن هذه اللغة اعتراها التغير و الاختلاف نتيجة التبدلات التي طرأت على المكان وعلى الظروف الجغرافية والاجتماعية . ((فقبائل معد كلها تكلمت لغة واحدة حين كان يضمها الحجاز ،فلما تفرقت وتباينت مساكنها ، بدا لسانها يتغير تبعا لتغير البيئة والحياة)) (سلام، 1971، ص. 42) وتتجلى لنا القيمة الفنية لأشعار الشاعر من خلال ما تقدمه لنا من مزج الشاعر بين الجمل الخبرية والتصوير، ويعضدها بالمرجعيات الثقافية القرآنية واللغة الشعرية المكثفة بالدلالات والصور البيانية من استعارة وتناص قرآني، كما يمكننا أن نصف أبياته بالإيجاز والجزالة ، إذ الكلمات تنساب علينا بمعانٍ مكثفة ، بتراكيب قصيرة ذات حجج دامغة:

الصورة البيانية:

لقد عُني النقاد و البلاغيون بالتجسيد الحسي للصورة البيانية القائمة على أساس القياس في اللغة، التي تعتمد أساسا على التمثيل والتشبيه (عيد، د.ت.، ص. 161) ، على عَدّ أن المدركات الحسية أقوى من المدركات المعنوية،هذا ما جعل الجاحظ (ت 255 هـ) يعرف الشعر بأنه "جنس من التصوير" (الجاحظ، د.ت.، ج. 3، ص. 132)، ولعل القصد من التصوير هنا هو التركيز على تشخيص المعنى للمدركات الحسية؛ وذلك لأن الحس هو الطريق الأول لإدراك النفس و معرفتها.

ولم ينكر البلاغيون والنقاد القدماء ما للصور البيانية في النظم من أبعاد نفسية ودلالات إيحائية لها أثرها في تشرب النفوس والعقول لمضامين النصوص الأدبية عامة، والشعرية خاصة، ولا يخلو حضور المكان في هذه النصوص من الإيحاء حتى وإن كان مفرطاً بالواقعية ،فالمكان يشكل "مسرحاً لكلمات الشاعر ، وموحياته ،وإن كثيراً من مفردات لغته تنتمي مباشرةً ، أو بشكل غير مباشر إلى المكان"(مبارك، 1993، ص. 90) .

ولنا أن نتابع إيحاءات الصورة البيانية من خلال الأداء البياني المتمثل بالتشبيه، والاستعارة ، والكناية.

1. التشبيه:

يشكل التشبيه ظاهرة أسلوبية في شعرنا العربي القديم ،وقد لقي عناية كبيرة من لدن البلاغيين القدماء ،فجعلوه دليلاً على الشاعرية ومقياساً تعرف به البلاغة ،وفيه تكون الفطنة والبراعة (مبارك، 1993، ص. 91). وهو إحدى وسائل إيضاح الصورة،واقعية كانت أم خيالية ،قريبة من إدراك المتلقي كانت أم بعيدة، والتشبيه هو الوسيلة التي تجتمع فيها المتناقضات لوجه التقارب بينهما .

ونستطيع أن نبين ذلك من خلال قوله في الإمامين الكاظميين (عليهما السلام) :

ببغدادٍ وان مُلئتْ قـــصورا قبورٌ غـشّتِ الآفاقَ نورا

ضريحُ السابعِ المعصومِ موسى الـ إمـامُ المحتوى مجداً وخيرا

وقبرُ محمدٍ في ظـــهرِ موسى يغشّي نورَ مهجتهِ الحضورا

هُما بحرانِ من علمٍ و جـــودٍ تجاوزَ في نفاستِها البحورا

هُما بدرانِ من رشـــدٍ وحسنٍ أبى نوراهما تـحكي البدورا

هُما طورانِ من منعٍ وهـــدىٍ فإن فصَّلتْ تمَّ الـطودُ طورا

إذا غارتْ جـــواهرُ كلُّ بحرٍ فجوهــرُها تنزَّه أن يغورا

وإن غابـــتْ بدورٌ في نهارٍ فمـا غابا أصيلاً أو بكورا

وإن دُكّتْ من الأطـوادِ هضبٌ تجـــدْ كلاً برفعتِه وقورا

إذا زرتَ المقابــرَ من قريشٍ وجـدتَ الطيبَ فيها والعبير(الذهبي، 1993، ص. 340)

يفتتح نص الناشئ الأصغر بعقد مفارقة تقوم على الفرق (القصور والقبور)، تلك القصور التي تعج بأساليب اللهو الطرب وبين تلك القبور التي ملأت تلك الآفاق بالنور والهداية، فيصورهم بالبحرين، وبالبدرين، والطوين، وهي تشبيهات تبرز تلك المكانة العلمية والروحية، ويأخذنا هذا التعظيم في توضيح والتذكير بفكرة الثأر؛ من خلال إبراز تلك المنزلة العظيمة، وهنا يصبح الثأر؛ دفاعاً عن الحق والعدل، وهذه الأبيات تُشّكل انتقالة من القبور ودلالتها على الفناء، إلى عنوان يضيء بالحيوية والحياة الروحية، ونلحظ في النص كثرة التشبيهات ذات الدلالات البليغة في عظم من قيلت هذه الابيات في حقهما،(هما بحران من علم وجود) هذا التشبيه البليغ فهما البحر ولكن ليس كأي بحر بل بحر من علم وجود. ثم هما البدران لما لطلعتهما البهية من الحسن والرشد، ثم يتابع الشاعر تشبيهاته بقوله :

(هما طوران) أي يشبههما بالجبلين ، لما لهما من عظمة في المنزلة العالية والمقام الكريم . ويقول أيضاً:

لم يشهدِ المسلمونَ قطّ رحى حربٍ وألفوا سواهُ قطبَ رحى

صلـــى عليه الإله تزكيةً ووفّق العبــدَ ينشِئ المدح(السماوي، 2009، ص. 66)

حين يبلغ تصوير الحرب ذروته القصوى نراه يشبه الحرب بـ الرحى التي تطحن ما حولها، ويتخذ من الإمام علي (ع) قطب تلك الرحى الذي تدور عليه الحرب، وهذه اللوحة تدل على أن الإمام هو قاعدة النصر، وإن جيش المسلمين لا يمكنهم الاستغناء عنه في مواطن الحرب، مما تدلنا هذه الأبيات على منزلته القيادية.

2. الاستعارة:

الاستعارة : تشبيه حذف منه أحد طرفيه ،"وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه ،وتريد به الطرف الأخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بأثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"(مبارك، 1993، ص. 30)، ويعد هذا التعريف من أدق التعريفات لأنه حصر الاستعارتين التصريحية و المكنية .والاستعارة بصفتها وسيلة بلاغية تمنح المنشئ حرية باستعمال صفات وهيئات لغير ما وضعت له في

الأصل ،فهي تمكن الشاعر المبدع من تجاوز حدود الأشياء ،والبحث عما هو جديد في التعبير أو النظم ،هذا بفضل ما تمتاز به الاستعارة من صفة المطاوعة، فهي "تجمع بين خصائص المجاز ،والتشبيه ،فقد أخذت من هذين الأصلين مميزاتها لتكون وسيلة رائعة لانطلاق اللغة ،وفتح فضاء جديد ،للتعبير بعيداً عن عالم الحقيقة والواقع المحدود وممدة للّغة، بسير الديمومة والتجدد"(مبارك، 1993، ص. 93–94).

يستعير الشاعر في بعض الأحيان بعض المعاني لمفردات لا يوحي نصها بدلالة مباشرة بل دلالة مستعارة هو يقصده فيقف عنده في المعنى الباطن، واستعارة المعاني مع الغموض وشد الانتباه، وهذا يعد دليلاً على الأسلوب البلاغي، والثقافة العالية التي يتمتع بها الشاعر . فقال الشاعر:

يا ابنَ البدورِ الذينَ نورُهـمُ يسطـــعُ في الخافقينِ ما أفَلا
وابنَ الهمامِ الذي بسطوتـه قـوّضَ ظعنَ الإشراكِ مُرتحلا
أقامَ ديـنَ الإلهِ إذْ كَسرتْ يداهُ في فتـــحِ مكةٍ هُبلا
علا علـى كاهلِ النبيّ ولو رامَ احتمـــالاً لأحمدٍ حملا
ولو أرادَ النجـومَ لامَسها بمـــا له ذو الجلالِ قد كفلا
مَنْ يعتلِ فليكـنْ عـلاهُ كذا أو لا فـــقد باءَ هابطاً سفلا(السماوي، 2009، ص. 87)

تؤسس هذه الأبيات لمشروع الحرب والانتصار على الباطل، عن طريق عرض السيرة الثورية للإمام علي (ع)؛لتكون شاهداً على دوره الرئيس في الدفاع عن الدين، فنراه يقيم رابطة بين البطولة في ساحات الحرب وبين استحقاقهم للخلافة بعد الرسول (ص)، وهي ليست حرباً لطلب السلطة، لكنها دفاعاً عن الحق، ومن الألفاظ (قوض ، ظعن ، أقام) فيصور لنا كيفية هدم الشرك على يد الإمام (ع) مما يضفي على الحرب بُعدها الفعلي التحريري، عندما يقدم فتح مكة شاهداً، وهنا نراه يجمع بين الشجاعة العسكرية وإزالة الوثنية، في هذه الأبيات لا ينفك الشاعر من رسم صورة بيانية يوضح فيها عظم ما يريد التعبير عنه ففي قوله:" يا ابنَ البدورِ الذينَ نورُهـمُ" البدور جمع (بدر) وهنا يريد الشاعر الإشارة إلى تلك العظمة للآباء والأسلاف، تلك الاستعارة التي أضافت جماليتها على الأبيات الشعرية، فهذه البدور بإشراقتها ورفعتها وجمالها قد سطعت على القلب وأنارته، يريد بها عوضاً ربما بما تقاسيه النفس من مرارة أيامها، وتلك هي استعارة تصريحية قد أسبغت جمالها من خلال حذف المشبه الذي تكون له صورة ذهنية في قلب المحبين ، والتصريح بالمشبه به الذي أضاف ذلك الجو من الطراوة والجمال للأبيات

الشعرية، فقد عزز الشاعر أبياته هذه بتكثيف تلك الصورة الاستعارية ففي البيت الذي يليه يقول: "وابنَ الهمامِ الذي بسطوتـه" ففي قوله: وابن الهمام أي ابن الأسد في شجاعته وقوته في محاربة أعداء الإسلام، فنراه أيضاً قد شبه (الشرك) في قوم راحلين في ظعنهم فكأنما الإشراك كائن حي قد ظعن وهاجر بقوة ذلك الهمام ، فقد أعطى للهمام صفات شيء مادي ملموس فنراه يُرحَّل ويُقوَّض ، وتلك هي استعارة مكنية حيث شَبه الشرك بشيء مادي له ظعن ويرحل، وتم حذف المشبه به ، وأشار إليه بلازمة من لوازمه .

3. الكناية والرمز :

أفاد الشعراء الصعاليك والفتاك من الكناية التي كانوا يلمحون بها إلى ما يجيش في نفوسهم، من عواطف في صورة مكثفة، وفي أقل لفظ كلامي مما يزيد تعبيرهم بهاءً وجمالاً وإيحاءً.

والكناية هي ما "يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة: ولكن يجيء إلى المعنى وهو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه" (مبارك، 1993، ص. 5، 9) وهكذا تعبر الكناية بطريقة غير مباشرة عن الفكرة المرادة بطريقة تبعث على اللذة الفنية، "ففي الصورة الكنائية إيهام ولكنه إيهام ليس ملغزاً، وإنما إيهام يحمل مفتاحه معه" (سلام، 1971، ص. 113)؛ والكناية باب من أبواب مشاركة المتلقي للمبدع فهي تحمل دلالات مزدوجة تجمع فيها بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي في داخل النص والمعنى المجازي مما يهتدي إليه المتلقي بحسب السياق فيقول الشاعر الناشئ الصغير :

هو الحامل في الحشر بكفيه لوا الحمد

قسيم النار والجنة بين الند والضد البلاغ(السماوي، 2009، ص. 33)

إن الصورة البيانية التي أرادها الناشئ الصغير لتؤدي وظيفة رئيسة في التأسيس لفكرة الثأر؛ من خلال اظهار المكانة الدينية وعلو المكانة، وفي هذا الأبيات، أشار الشاعر إلى المكانة التي يشغلها الإمام (ع) فهو قسيم الجنة والنار من خلال قوله (قسيم النار والجنة بين الند والضد) وهذا هو كناية، فمن هو قسيم الجنة والنار سوى الامام علي (عليه السلام) لكنه لم يصرح به علنا وتلك صورة بلاغية كبيرة . وقال أيضاً في هذا الصدد :

وذاك تولى السم منه حشاشه وأنشبن أظفار بها ونيوب

وهو قد رمز به عن شخصية الامام الحسن (عليه السلام) دون أن يذكرها صراحة (السماوي، 2009، ص. 51) ، وقال أيضاً :

يا آلَ ياسيـنَ مـن يُحبّكمُ بغيرِ شكٍّ لنفسهِ نصـحا

أنتمْ رشـادٌ من الضلالِ كما كلُّ فسادٍ بحبكمْ صـلحا

وكـل مستــحسنٍ لغيرِكمُ إن قِيسَ يوماً بفضلـكمْ قبحا

مـا مــحيت آية النهارِ لنا وآية الليلِ ذو الـجلالِ محا

وكيف تُمحى أنوارُ رشـدكمُ وأنتمُ في دجى الظلامِ ضحى

أبوكمُ أحمدٌ وصـــاحبُه الـ ممنوحُ من علـمِ ربّهِ منحا

ذاكَ عليٌّ الــذي تـفرُّدِه في يومِ خـمٍّ بفضلِهِ اتّضحا

إذ قالَ بين الورى وقـام به معـتضداً في القيامِ مُكتشا البلاغ(السماوي، 2009، ص. 60).

إن موضوع الثأر والحرب عند الشاعر لا يقوم على التعصب الفكري والديني ،إنما على أحقية آل البيت (ع)، فتقوم هذه الأبيات على ذكر الرمز في قول الشاعر: (آل ياسين) فهذا يُعد رمزاً أو كناية عن آل البيت عليهم السلام ، إذ لا يقصد الشاعر هنا مناداة بالاسم الظاهر بل له دلالة أخرى وقوله: "كل فسادٍ بحبكم صلحا" فهذه كناية من الشاعر للدلالة عن الإثر الإيجابي لمن عرفهم واحبهم وأقتدى بهم، أي تلك المحبة التي تؤدي إلى الصلاح والهداية. وتتوالى صور الرمز والكناية في أبيات الشاعر وتأخذ مأخذها في عمق الدلالة وتوضيح الهدف منها، مع عظم الأثر الذي تتركه في النفس ففي قول الشاعر: "وكـل مستــحسنٍ لغيرِكمُ" فهذه كناية عن عظم فضل المخَاطَبين ورفعة منزلتهم ، ذلك إن ما يُعد جميلاً عن غيرهم ، إذ قارناه بهم يبدو قبيحاً ، فيضمحل ويتلاشى . وننتقل إلى البيت الي يليه ، "مـا مــحيت آية النهارِ لنا" " وآية الليلِ ذو الـجلالِ محا" فهنا تتعاضد الصور الرمزية والكناية لتحقق غايتها في جذي الانتباه مع التضاد الموجود في لفظتي (آية النهار) و (آية الليل) الذي يأخذ مجراه في لفت الانتباه لهذه الكلمات وما تحملان من دلالة رمزية مستمدة من القرآن الكريم؛ وكما هو معهود لدينا أن النهار والليل يستعملان رمزاً للنور والظلمة، والصلاح والفساد، والهداية والضلال، أي ما نقصده بحسب السياق الذي يحمله النص وهذه المقابلة تفسر لنا الحروب التي قامت وتفسر على أنها مواجهة بين الحق والباطل، . وقوله:" وكيف تُمحى أنوارُ رشـدكمُ" فالدلالة وما يحمله السياق لا يقصد الشاعر الأنوار الاعتيادية ذات المدلول الحسي؛ بل كناية عن الهداية والاخلاق الحميدة ومُجمل الفضائل التي اتصفوا بها آل البيت عليهم السلام "وأنتمُ في دجى الظلامِ ضحى" وهنا نجد رمزاً آخر يدل على كشف المفارقة بين كلمتي (الظلام و الضحى) ومن هنا نكتشف الحرب التي وقعت تُفهم بوصفها حرباً على الهداية و الإيمان، أي أنتم مصدر الهداية وسط ظلمات الضلال.

الخاتمة :

1. وصف المترجمون الناشئ الصغير بأنه شاعر بارع وعالم مشهور ومعروف ومصنف قدير، فضلاً عن شعره وجهاده في الأصعدة المتعددة في عالم القلم، نجده قد ألف كتاباً في أهل البيت (ع) .
2. عاصر بعضاً عن ملوك بني العباس كالمقتدر والقادر والراضي ، ومدح أعيان عصره كسيف الدولة الحمداني وابن العميد ، وعضد الدولة الديلمي.
3. وليس للناشئ الأصغر شهرة كبيرة بين شعراء عصره، وهنا يظهر ان الناشئ من الشعراء المظلومين في تاريخ الأدب العربي، فلم يتم تناوله كما هو مستحق لهذا التناول، فقد ذكرت بعض المؤرخات الادبية عنه شيئا يسيرًا ككتاب (وفيات الأعيان) اضافة إلى ذكره تاريخ الادب العربي بذكر يسير .
4. تناول الشاعر فكرة الثأر والحرب مجموعة من الأغراض الشعرية ومنها غرض الرثاء ؛نظرًا للأحداث الجسام التي مرت على الأمة الإسلامية وما حصل من معارك نتج عنها الموت، والقتل، والتخريب ، بذكر تفاصيل الحرب وتكشف لنا عن حضور موضوع الثأر؛ وذلك عن طريق الذاكرة وما تحمله من مشاهد ذلك اليوم ، فيها من انتهاكات، وهذا تمهيد يبين أن الثأر ليس حدثاً شخصياً؛ لكنه دفاعاً عن الدين وحرمة الرسالة وقد صورت لنا هذه القصيدة الأحداث المأساوية، وما من لوعة الحزن مع الشجن، وإن هذا المشهد لا يصور الرثاء فحسب؛ بل ينقش في ذهن السامع وحشية العدوان التي تتطلب الثأر، ولا تنفك حتى تشّكل لنا سلسلة من وثيقة تاريخية ، فالشاعر بدا لنا رساماً دقيقاً في عرض صورة لذلك المشهد فقد واصل شعراء هذا الغرض فن الرثاء، فقد برز في هذا الغرض ثلاثة أنواع: المراثي الخاصة: التي قيلت في أناس أعزاء على قلب الشاعر كما في رثاء يحيى شرف الدين لزوجه فاطمة بنت عبد الله الموصوفة بالفضل والكرم و المراثي العامة: وهي كثيرة تقوم على الإشادة بصفات المرثي وكريم مزاياه من خلال المبالغة. ومن هذه الانواع السابقة نرى ان الناشئ الصغير قد رثى بصورة خاصة وعامة حيث قصيدة يرثي بها الامام الحسين (ع).
5. ويبدو أن الشاعر تطرق إلى نوع آخر من الرثاء، وهو رثاء الممالك والمدن: كما في رثاء بغداد التي سقطت بيد المغول .
6. ويتبين لنا أن الشاعر لم يكتب في غرض الغزل ونعزو سبب هذا لما في قلب الشاعر من حزن كبير لآل بيت النبي (ع) أو ربما أراد الشاعر أن تكون قصائده خالصة لوصف الواقع والتعبير عن معتقده الديني، فضلاً عن الأحداث السياسية وما رافقها من اضطهاد ممنهج .

7. لقد استعمل الشاعر الأساليب البلاغية في شعره وقد وظفها في شرح وتبيين قضية الثأر والحرب، وما تضفيه على النص الشعري من غموض وتشويق للقارئ . ويتضح من خلال بحثنا هذا أن لغة الشعر عند الناشئ الصغير لغة سهلة ويسيرة لا تتطلب معجمية وأسلوبه سلس يبتعد عن الطلسمة والإيغال في المفردات الغريبة فكل الفاظه مفهومة للسامع البسيط، وهذا دليل على أن الشاعر على دراية، وتمكن من فن النظم باللغة السهلة واليسيرة، وإن ابتعاده عن الألفاظ القاموسية يُعدّ اسلوبًا من أساليبه الشعرية المتقنة.
8. نجد الجانب الديني حاضراً في قصائد الشاعر ولاسيما في ذكر آل بيت الرسول عليهم السلام ، فضلاً عن هذا ذكر الحوادث التاريخية منها ما حدث للأمام علي (ع) والإمام الحسن (ع) وذكر حادثة السم التي أودت بروحه الشريفة ونظراً لما رآه الشاعر من مظلومية آل بيت الرسول (ع) وما رافقها من اضطهاد وتشتيت لهم .
9. يتبين لنا بأن الشاعر يعيش نوعاً من التشظي الفكري والنفسي عن مجتمعه، ويبدو لنا أن سبب هذا هو ما حصل في العصر العباسي من اضطراب الأحوال السياسية، والنزاع حول السلطة والرغبة في الحصول على الجاه والسلطان، فضلاً عن سوء الأحوال الاجتماعية وما رافقها من فقر وتردي المستوى المعيشي وعدم التساوي بين طبقات المجتمع ، لاسيما في من النواحي الاقتصادية وانقسام طبقات المجتمع ، فكانت هذه العوامل مجتمعة أثرها في حياة الشاعر وفي اتجاهه الشعري هذا.
10. لم ينس الشاعر فكرة الثأر والحرب في غرض المديح في العظماء حاله حال شعراء العصر العباسي ،فضلاً عن بقية الأغراض الشعرية الأخرى ولكن الشاعر هنا لم يمدح خليفة أو سلطان، رغبة في الحصول على الجاه أو السلطة فنراه قد خصصه لنصرة الدين الإسلامي، ولأخذ الثأر ليس من جانب شخصي، بل من قضية تخص الدين الإسلامي فنجده قد أكثر من المدائح النبوية الشريفة ومدح الإمام علي (ع) كانطلاق للحرب لأنهم أحق بالحفاظ على الدين والهُوية الإسلامية .
11. يتضح أن الناشئ الأصغر يجعل الثأر القضية المركزية في القصيدة، ويؤسس لها من خلال استحضار صور الحرب وآثارها في تاريخ أهل البيت، بدءًا من استشهاد الإمام علي عليه السلام، مرورًا بالإمام الحسن عليه السلام، وانتهاءً بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء. وقد وظف الأسلوب الاستفهامي، والمشاهد الحربية، والتدرج التاريخي، ليجعل من الثأر مطلبًا مشروعًا يهدف إلى استعادة الحق وإدانة الظلم، لا مجرد دعوة إلى الانتقام. ومن ثم فإن الحرب في هذه القصيدة تمثل مظهرًا للعدوان الذي وقع على أهل البيت، بينما يغدو الثأر استجابةً أخلاقية ودينية

لهذا العدوان، وهو ما يكشف عن الرؤية الفكرية للناشئ الأصغر في توظيف الشعر للدفاع عن قضية آل البيت وإحياء مظلوميتهم .

هوامش البحث :

ابن الأثير، ع. د. ع. ب. أ. ا .(1989) .*الكامل في التاريخ* (ع. شيري، تحقيق). دار إحياء التراث العربي.

ابن النديم، أ. ا. م. ب. أ. ي. إ. (د.ت.) .*الفهرست* .دار المعرفة.

ابن طباطبا، ف. ا. م. ب. ع. (1385هـ) .*الفخري في الآداب السلطانية* .دار بيروت.

ابن خلكان، ش. ا. أ. ب. م. ب. أ. ب. (1367هـ) .*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* (م. م. ا. عبد الحميد، تحقيق). مطبعة السعادة.

ابن عساكر، أ. ا. ع. ب. ا. ب. هـ. ا .(1349) .*تهذيب ابن عساكر* (ط1). مطبعة الترقي.

الجاحظ، أ. ع. ب. ب. (د.ت.) .*كتاب الحيوان* (ع. ا. م. هارون، تحقيق). مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

الحسيني، أ .(1976) .*الفنون الأدبية وأعلامها* (ط1). دار الفكر.

الحلي، أ. ب. ف. (د.ت.) .*عدة الداعي ونجاح الساعي* .مطبعة حكمت.

الحلي، ت. ا. ب. د. (1382هـ) .*رجال ابن داود* .المطبعة الحيدرية.

الحموي، ي. ب. ع. ا. ا. ا. (1399هـ) .*معجم الأدباء* .دار إحياء التراث العربي.

الذهبي، م. ب. ش. ا .(1993) .*سير أعلام النبلاء* (ش. الأرناؤوط وآخرون، تحقيق، ط9). مؤسسة الرسالة.

الزركلي، خ .(1969) .*الأعلام* (ط3). دار العلم للملايين.

السماوي، م. (جامع)، وناجي، هـ. (محقق) .(2009) .*ديوان الناشئ الصغير* .مؤسسة البلاغ.

السمعاني، ع. ا. ب. م. ب. م. ا. (1408هـ) .*الأنساب* (ع. ا. المعلمي، تحقيق، ط1). دار الجنان.

الصفدي، ص. ا. خ. ب. أ .(1379) .*الوافي بالوفيات* .المطبعة الهاشمية.

عيد، ر. (د.ت.) .*فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور* (ط2). منشأة المعارف.

فروخ، ع .(1998) .*تاريخ الأدب العربي* .دار الفكر.

الكروي، ا. ب. ع .(1989) .*نظام الوزارة* .دار الأعلمي.

مبارك، م. ر .(1993) .*اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: تلازم التراث والمعاصرة* (ط1). دار الشؤون الثقافية العامة.

الماوردي، أ. ا. ع. ب. م. (د.ت.) .*الأحكام السلطانية* .دار الكتب العلمية.

المسعودي، أ. ا. ع. ب. ا. (1357هـ) .*التنبيه والإشراف* (ع. ا. ا. الصاوي، تحقيق). دار الصاوي.

مصطفى، ش .(1975) .*التاريخ والمؤرخون*.

مؤلف مجهول .(1971) .*أخبار الدولة العباسية* (ع. ا. الدوري، تحقيق). دار الطليعة.

الهاشمي، أ .(1976) .*جواهر الأدب* (ط1). دار صعب.

اليافعي، ع. م. (د.ت.) .*مرآة الجنان* .دار الفكر.

سلام، م. ز. (1971). لغة الشعر .*مجلة مجمع اللغة العربية، 27*.

المصادر والمراجع

(1)الأحكام السلطانية ، الماوردي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت .

(2) أخبار الدولة العباسية ، مؤلف مجهول ، تحقيق عبدالعزيز الدوري ، بيروت ، دار الطليعة 1971 .

(3)الأعلام ، خير الدين الزركلي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1389هـ – 1969م.

(4)الأنساب ، السمعاني ،عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (562هـ - 1166م)، تح: عبد الرحمن المعلمي ، ط1، دار الجنان ، بيروت ، 1408هـ.

(5)تهذيب ابن عساكر، ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ /1175م)، ط 1،مط : الترقي، دمشق، 1349.

(6)تاريخ الأدب العربي ، عمرو فروخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1998.

(7)التاريخ والمؤرخون ، مصطفى ، شاكر ، (الكويت - 1975م).

(8)التنبيه والأشراف ، المسعودي ، أبو الحسن علـي بـن الحسـين (ت 346 هـ/956م) تحقيـق عبد الله إسماعيل الصاوي ، (القاهرة – دار الصاوي – 1357 هـ/1938م).

(9)جواهر الأدب ، احمد الهاشمي ، ط1 ، دار صعب ، بيروت ، 1976.

(10) ديوان الناشئ الصغير ، جمعه الشيخ محمد السماوي ، حققه هلال ناجي، مؤسسة البلاغ ، بيروت ، لبنان ، 2009.

(11) سير أعـلام النـبلاء ، الذهـبي ، محمـد بـن شـمس الـدين (ت748هـ/1597م)، تحقيـق شعيب الانؤوط وآخرون ط9 ، مؤسسة الرسالة (بيروت 1993م).

(12) رجال ابن داود ، الحلي، تقي الدين بن داود (ت 707هـ / 1307م)، المطبعة الحيدرية (النجف - 1382هـ).

(13) عدة الداعي ونجاح السـاعي ، الحلـي ، أحمـد بـن فهـد (ت 841هـ / 1437م)، مطبعـة حكمت (قم ـ بلات).

(14) الفهرست ، ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت385هـ/ 995م)، مـط: دار المعرفة ، بيروت .

(15) الفنون الادبية واعلامها ،احمد الحسيني ط1، دار الفكر ، بيروت ، 1976.

(16) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيـد ، ط2 ،منشـأة المعـارف بالأسـكندرية ،(د ت).

(17) الفخري في الآداب السلطانية ، ابن طباطبا ، فخر الدين بن محمد بن علي ، بيروت ، دار بيروت 1385هـ .

(18) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير عز الدين علي بن ابـي الكـرم (ت 630 هـ - 1232م)، تحقيق علي شيري ، دار أحياء التراث العربي (بيروت - 1989م).

(19) كتاب الحيوان ، للجاحظ ،أبي عمرو بن بحـر (ت255هـ), تحقيـق : عبـد السـلام محمـد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، (د ت).

(20) اللغـة الشـعرية فـي الخطـاب النقـدي العربـي ، محمـد رضـا مبـارك ، تـلازم التـراث والمعاصره ، ط/1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1993م.

(21) لغـة الشـعر ، د محمـد زغلـول سـلام ، مجلـة مجمـع اللغـة ، القـاهرة ، المجلـد السـابع والعشرون ، سنة . 1971 .

(22) معجم الأدباء ، الحموي ،ياقوت بن شهاب الـدين بـن عبـد الله الرومـي البغـدادي(626هـ-1228م)، د ط، مط:دار احياء التراث العربي ،بيروت،1399هـ.

(23) مرآة الجنان، اليافعي ، عبد الله محمد، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

(24) نظام الوزارة ، الكروي ، الحسين بن علي ، دار الأعلمي ، بيروت ، 1989 .

(25) الوافي بالوفيات ، الصفدي ، صلاح الـدين خليـل بـن أيبـك (ت764هـ- 1362م)، د.ط مط: الهاشمية ، دمشق ، 1379.

(26) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـر (ت 681 هـ/ 1282م) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، (مصـر ، 1367 هـ/1949م).